بسم الله الرحمن الرحيم

بك ألوذ

« اللهمَّ بعِلْمِكَ الغيبَ وقُدْرَتِكَ عَلَى الخلَقِ ، أحْيِني ما علِمْتَ الحياةَ خيرًا لِي...»

اللقاء الثامن

الحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

عَنْ السائب بن مالك قَالَ: صَلَّى بِنَا عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَلَاةً فَأَوْجَزَ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ. فَقَالَ: أَمَا عَلَى ذَلِكَ فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ، أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي. اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ. اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ» أخرجه النسائي.

هَذَا الدُّعَاءُ كَبِيرُ النَّفْعِ، عَظِيمُ الشَّـأْنِ، وَغَزِيرُ الْفَوَائِدِ؛ لِمَا فِيهِ مِنْ مَعَانٍ وَمَقَاصِـدَ جَلِيلَةٍ، وَمَطَالِبَ عَالِيَةٍ فِي الْعَقِيدَةِ وَالْأَخْلَاقِ وَالْعِبَادَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، فَفِيهِ:

1 -تَوَسُّلٌ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِأَسْمَائِهِ الْحُسْنَى، وَصِفَاتِهِ الْعُلَا.

2 -وَتَفْوِيضُ الْأُمُورِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

3 -وَالتَّوَكُّلُ عَلَيْهِ جَلَّ وَعَلَا.

4 -وَسُؤَالُهُ التَّوْفِيقَ إِلَى كَمَالِ الْعُبُودِيَّةِ مِنَ الْعِبَادَاتِ.

5 -وَفِيهِ سُؤَالُ أَعْلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ، وَأَعْلَى نَعِيمِ الدُّنْيَا، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْمَطَالِبِ الْمُهِمَّةِ.

وَإِنَّمَا تَعْظُمُ فَائِدَةُ هَذَا الدُّعَاءِ، وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَدْعِيَةِ، فِي فَهْمِ مَعَانِيهَا، وَالتَّدَبُّرِ فِي دَلَالَاتِهَا، وَمَقَاصِـدِهَا النَّفِيسَـةِ، وَالْمُجَاهَدَةِ فِي تَحْصِـيلِ تَحْقِيقِهَا: قَوْلًا وَفِعْلًا، وَالْإِكْثَارِ مِنْهَا فِي السُّؤَالِ وَالطَّلَبِ.

الْمُفْرَدَاتُ:

قَوْلُهُ: (الْقَصْدُ): التَّوَسُّطُ وَالِاعْتِدَالُ.

قَوْلُهُ: (نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ): أَيْ لَا يَنْقَطِعُ وَلَا يَنْتَهِي.

قَوْلُهُ: (قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ): مَا تَقَرُّ بِهِ الْعَيْنُ مِنْ لَذَّةٍ وَسُرُورٍ.

قَوْلُهُ: (بَرْدَ الْعَيْشِ): أَصْلُ الْبَرْدِ فِي الْكَلَامِ: السُّهُولَةُ.

قَوْلُهُ: (خَشْيَتَكَ): خَوْفٌ مُقْتَرِنٌ مَعَ تَعْظِيمٍ.

قَوْلُهُ: (ضَرَّاءَ): عَكْسُ السَّرَّاءِ، وَهِيَ الْحَالُ الْمُضِرَّةُ.

قَوْلُهُ: (فِتْنَةً): الِاخْتِبَارُ وَالِامْتِحَانُ.

الشَّرْحُ:

في بداية الدعاء تقرير أصلين عظيمين من أصول الإيمان:

- إثبات صفة العلم المطلق.
- إثبات صفة القدرة الشاملة.

قَوْلُهُ: (اللَّهُمَّ بِعِلْمِكَ الْغَيْبَ): الْبَاءُ لِلِاسْتِعْطَافِ وَالتَّذَلُّلِ، أَيْ أَنْشُدُكَ بِحَقِّ عِلْمِكَ مَا خَفِيَ عَلَى خَلْقِكَ، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ مِمَّا اسْتَأْثَرْتَ بِهِ؛ فِيهِ تَفْوِيضُ الْعَبْدِ أُمُورَهُ إِلَى اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ، وَطَلَبُ الْخِيَرَةِ فِي أَحْوَالِهِ وَشَأْنِهِ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا، وَتَوَسُّلٌ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِعِلْمِهِ الَّذِي وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ.

قَوْلُهُ: (وَبِقُدْرَتِكَ عَلَى الْخَلْقِ): تَوَسُّلٌ بِكَمَالِ قُدْرَتِهِ النَّافِذَةِ عَلَى جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ: إِنْسِهَا، وَجِنِّهَا، وَمَلَائِكَتِهَا، وَهَذَا تَوَسُّلٌ بِصِفَةِ الْقُدْرَةِ بَعْدَ صِفَةِ الْعِلْمِ، أَرْجَى فِي قَبُولِ الدُّعَاءِ وَاسْتِجَابَتِهِ؛ لِأَنَّ التَّوَسُّلَ بِأَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ هُوَ أَكْبَرُ الْوَسَائِلِ الَّتِي يُرْجَى مَعَهَا اسْتِجَابَةُ الدُّعَاءِ. وَيَنْبَغِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّ الْحَاجَاتِ الَّتِي يَطْلُبُهَا الْعَبْدُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى نَوْعَانِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: مَا عُلِمَ أَنَّهُ خَيْرٌ مَحْضٌ، كَسُؤَالِ خَشْيَتِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَطَاعَتِهِ وَتَقْوَاهُ، وَسُؤَالِ الْجَنَّةِ، وَالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ النَّارِ، فَهَذَا يُطْلَبُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ تَرَدُّدٍ، وَلَا تَعْلِيقٍ بِالْعِلْمِ بِالْمَصْلَحَةِ؛ لِأَنَّهُ خَيْرٌ مَحْضٌ.

النَّوْعُ الثَّانِي: مَا لَا يُعْلَمُ هَلْ هُوَ خَيْرٌ لِلْعَبْدِ أَمْ لَا، كَالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، وَالْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَالْوَلَدِ وَالْأَهْلِ، وَكَسَائِرِ حَوَائِجِ الدُّنْيَا الَّتِي يَجْهَلُ عَوَاقِبَهَا، فَهَذِهِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُسْأَلَ اللَّهُ مِنْهَا إِلَّا مَا يُعْلَمُ فِيهِ الْخِيَرَةُ لِلْعَبْدِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ جَاهِلٌ بِعَوَاقِبِ الْأُمُورِ، وَقَدْ تَضَمَّنَ الدُّعَاءُ فِي هَذَا الْحَدِيثِ النَّوْعَيْنِ مَعًا؛ فَإِنَّهُ لَمَّا سَأَلَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ قَيَّدَ ذَلِكَ بِمَا يَعْلَمُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ فِيهِ الْخِيَرَةَ لِعَبْدِهِ، وَلَمَّا سَأَلَ الْخَشْيَةَ وَمَا بَعْدَهَا مِمَّا هُوَ خَيْرٌ صِرْفٌ جَزَمَ بِهِ، وَلَمْ يُقَيِّدْهُ بِشَيْءٍ.

☜وَلِهَذَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَفْقَهَ فِي بَابِ الدُّعَاءِ مَا يَدْعُو بِهِ؛ لِأَنَّهُ يَدْعُو رَبَّ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَخَيَّرَ لِمَوْلَاهُ أَجْمَلَ الْأَلْفَاظِ، وَأَحْسَنَ الْمَعَانِي، وَأَنْبَلَ الْأَمَانِي.

قَوْلُهُ: (أَحْيِنِي مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي): أَيْ أَسْأَلُكَ أَنْ تُحْيِيَنِي حَيَاةً طَيِّبَةً، بِأَنْ يَغْلِبَ خَيْرِي عَلَى شَرِّي، وَبِأَنْ أَتَمَسَّكَ بِشَرِيعَتِكَ، مُتَّبِعًا لِسُنَّةِ نَبِيِّكَ ﷺ، إِذَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَفِي هَذَا تَفْوِيضٌ كَامِلٌ لِلَّهِ تَعَالَى، وَتَقْدِيمُ اخْتِيَارِهِ تَعَالَى عَلَى اخْتِيَارِ نَفْسِهِ؛ لِعَجْزِهِ، وَضَعْفِ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ لِنَفْسِهِ، فَهُوَ عَاجِزٌ عَنْ تَحْصِيلِ مَصَالِحِهِ، وَدَفْعِ مَضَارِّهِ إِلَّا بِمَا أَعَانَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ وَيَسَّرَهُ لَهُ، وَفِيهِ كَذَلِكَ حُسْنُ الظَّنِّ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا، بِكَمَالِ أَفْعَالِهِ، وَصِفَاتِهِ الْمُقْتَرِنَةِ بِكَمَالِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ وَالْعَدْلِ.

قَوْلُهُ: (وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي): أَيْ بِأَنْ تَغْلِبَ سَيِّئَاتِي عَلَى حَسَنَاتِي، أَوْ بِأَنْ تَقَعَ الْفِتَنُ وَالْفَسَادُ وَالشَّرُّ فِي الدِّينِ، فَفِي هَذِهِ الْحَالِ يَكُونُ الْمَوْتُ خَيْرًا؛ لِمَا فِيهِ مِنَ

الرَّاحَةِ لِلْمُؤْمِنِ، وَالسَّلَامَةِ مِنَ الْبَلَايَا؛ وَلِهَذَا جَاءَ النَّهْيُ فِي السُّنَّةِ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ لِضُرٍّ نَزَلَ بِالْعَبْدِ؛ لِجَهْلِهِ بِالْعَوَاقِبِ، فَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَتَمَنَّى أَحَدُكُمُ الْمَوْتَ؛ إِمَّا مُحْسِنًا فَلَعَلَّهُ يَزْدَادُ، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ.»

أَيْ: عِلَّةُ النَّهْيِ عَنْ تَمَنِّي الْمَوْتِ أَنَّ الْعَبْدَ إِنْ كَانَ مُحْسِنًا فَحَيَاتُهُ يُرْجَى أَنْ يَزْدَادَ بِهَا إِحْسَانًا، وَإِنْ كَانَ مُسِيئًا فَإِنَّهُ يَسْتَرْضِي اللَّهَ بِالْإِقْلَاعِ عَنِ الذُّنُوبِ، وَطَلَبِ الْمَغْفِرَةِ.

✍كم من الناس يعيشون سنين طويلة... لكن بلا أثر، بلا نور، بلا طاعة. وكم من شاب مات مبكرًا... لكنه ترك خلفه صدقات، علمًا، أثرًا طيبًا، المؤمن لا يطلب طول العمر، بل يطلب البركة في العمر.

ثم شرع في سؤال المنجيات الثلاث كما جاء في الحديث عن النبي -ﷺ- (وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ: خَشْيَةُ اللَّهِ فِي السِّرِّ، وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ، وَكَلِمَةُ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ)) السلسلة الصحيحة

قَوْلُهُ: (وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتَكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ): أَيْ أَسْأَلُكَ يَا إِلَهِي دَوَامَ الْخَشْيَةِ مَعَ الْخَوْفِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَنِ، وَالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، فِي حَالِ كَوْنِي مَعَ النَّاسِ، أَوْ غَائِبًا عَنْهُمْ؛ فَإِنَّ خَشْيَتَكَ رَأْسُ كُلِّ خَيْرٍ، فَقَدْ مَدَحَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مَنْ يَخْشَاهُ بِالْغَيْبِ، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ} [الملك: 12]، وقال: {مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ}[ق: 33].

وَقَدْ فُسِّرَ الْغَيْبُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ بِالدُّنْيَا؛ لِأَنَّ أَهْلَهَا فِي غَيْبٍ عَمَّا وُعِدُوا بِهِ مِنْ أَمْرِ الْآخِرَةِ، وَالْمُوجِبُ لِخَشْيَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ أُمُورٌ، مِنْهَا:

1- قُوَّةُ الْإِيمَانِ بِوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ عَلَى الْمَعَاصِي.

2- النَّظَرُ فِي شِدَّةِ بَطْشِهِ وَانْتِقَامِهِ وَقُوَّتِهِ وَقَهْرِهِ.

3- قُوَّةُ الْمُرَاقَبَةِ لِلَّهِ، وَالْعِلْمُ بِأَنَّهُ شَاهِدٌ وَرَقِيبٌ عَلَى قُلُوبِ عِبَادِهِ وَأَعْمَالِهِمْ، وَأَنَّهُ مَعَ عِبَادِهِ حَيْثُ كَانُوا.

قَوْلُهُ: (وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ): وَهَذَا الْمَطْلَبُ عَزِيزٌ جِدًّا يَقِلُّ فِي وَاقِعِ الْعَبْدِ؛ لِذَلِكَ سَأَلَهُ رَبَّهُ تَعَالَى، أَيْ أَسْأَلُكَ يَا اللَّهُ النُّطْقَ بِالْحَقِّ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِي، فِي حَالِ غَضَبِي وَفِي حَالِ رِضَايَ، فَلَا أُدَاهِنُ فِي حَالِ رِضَى النَّاسِ وَغَضَبِهِمْ عَلَيَّ[قد يظلم]، وَيَكُونُ الْحَقُّ مَقْصِدِي فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.[ميزان العدل الأخلاقي]

قَوْلُهُ: (وَأَسْأَلُكَ الْقَصْدَ فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ): أَيْ بِأَنْ أَكُونَ مُقْتَصِدًا مُعْتَدِلًا فِي حَالِ غِنَايَ وَفَقْرِي، فَلَا أُنْفِقُ فِي الْغِنَى بِسَرَفٍ وَلَا طُغْيَانٍ، وَلَا أُضَيِّقُ فِي حَالِ فَقْرِي خَوْفَ نَفَادِ الرِّزْقِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾، وَالْقَوَامُ هُوَ الْقَصْدُ وَالتَّوَسُّطُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ.

قَوْلُهُ: (وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ): أَيْ أَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْقَضِي وَلَا يَنْتَهِي، وَلَيْسَ ذَلِكَ إِلَّا نَعِيمَ الْآخِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾، وَقَالَ جَلَّ شَأْنُهُ: ﴿إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ﴾ أَيْ فِي الْجَنَّةِ، فَهُوَ دَائِمٌ لَا يَنْتَهِي وَلَا يَنْقُصُ.

أَمَّا نَعِيمُ الدُّنْيَا فَهُوَ نَافِدٌ، كَمَا أَنَّ الدُّنْيَا كُلَّهَا نَافِذَةٌ، وَكَأَنَّهُ حِينَ يَنْزِلُ بِهِ الْمَوْتُ وَسَكَرَاتُهُ لَمْ يَذُقْ نَعِيمًا مِنْ نَعِيمِ الدُّنْيَا.

قَوْلُهُ: (وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ): وَقُرَّةُ الْعَيْنِ هِيَ مِنْ جُمْلَةِ النَّعِيمِ الَّذِي أَسْأَلُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ النَّعِيمَ مِنْهُ مَا هُوَ مُنْقَطِعٌ، وَمِنْهُ مَا لَا يَنْقَطِعُ، فَمَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِالدُّنْيَا فَقُرَّةُ عَيْنِهِ مُنْقَطِعَةٌ، سُرُورُهُ فِيهَا زَائِلٌ؛ لِأَنَّ لَذَّاتِهَا مَشُوبَةٌ بِالْفَجَائِعِ وَالْمُنَغِّصَاتِ، فَلَا تَقَرُّ عَيْنُ الْمُؤْمِنِ فِي الدُّنْيَا إِلَّا بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَذِكْرِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالْأُنْسِ بِهِ، وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى طَاعَتِهِ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ أَعْظَمِهَا الصَّلَاةُ، كَمَا قَالَ الْمُصْطَفَى ﷺ: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ.«

وَقُرَّةُ الْعَيْنِ فِي الْآخِرَةِ تَشْمَلُ النَّعِيمَ فِي الْبَرْزَخِ وَفِي الْجَنَّةِ، وَقُرَّةُ الْعَيْنِ الَّتِي لَا تَنْقَطِعُ هِيَ الَّتِي لَا تَنْتَهِي؛ فَإِنَّ مَنْ قَرَّتْ عَيْنُهُ بِاللَّهِ جَلَّ وَعَلَا فَقَدْ حَصَلَتْ لَهُ قُرَّةُ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ فِي الدُّنْيَا، وَلَا فِي الْبَرْزَخِ، وَلَا فِي الْآخِرَةِ.

قَوْلُهُ: (وَأَسْأَلُكَ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ): سَأَلَ الرِّضَا بَعْدَ حُلُولِ الْقَضَاءِ؛ لِأَنَّهُ حِينَئِذٍ تَتَبَيَّنُ حَقِيقَةُ الرِّضَا، وَأَمَّا الرِّضَا قَبْلَ الْقَضَاءِ فَهُوَ عَزْمٌ وَدَعْوَى مِنَ الْعَبْدِ، فَإِذَا وَقَعَ الْقَضَاءُ قَدْ تَنْفَسِخُ الْعَزَائِمُ، وَسُؤَالُ اللَّهِ الرِّضَا بَعْدَ الْقَضَاءِ يَتَضَمَّنُ الرِّضَا بِمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ؛ ⭘فَأَمَّا فِي الْخَيْرِ فَيَرْضَى وَيَقْنَعُ بِهِ، وَلَا يَتَكَلَّفُ فِي طَلَبِ الزِّيَادَةِ، وَيَشْكُرُ عَلَى مَا أُوتِيَ بِهِ.

⭘وَأَمَّا فِي الشَّـرِّ فَيَصْـبِرُ، وَلَا يَنْزَعِجُ وَلَا يَتَسَـخَّطُ، وَيَتَلَقَّاهُ بِوَجْهٍ مُنْبَسِـطٍ، وَخَاطِرٍ مُنْشَرِحٍ، وَشُكْرٍ مُسْتَمِرٍّ، وَالرِّضَا بِالْقَضَاءِ مَقَامٌ عَظِيمٌ، مَنْ حَصَلَ لَهُ فَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَإِنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾.

قَالَ عَبْدُ الْوَاحِدِ بْنُ زَيْدٍ: الرِّضَا بَابُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ، وَجَنَّةُ الدُّنْيَا، وَمُسْتَرَاحُ الْعَابِدِينَ.

قَوْلُهُ: (وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ): أَيْ أَسْأَلُكَ الرَّاحَةَ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ بِرَفْعِ الرُّوحِ إِلَى الْجِنَانِ فِي عِلِّيِّينَ، وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْعَيْشَ وَطِيبَهُ وَبَرْدَهُ إِنَّمَا يَكُونُ بَعْدَ الْمَوْتِ لِلْمُؤْمِنِ؛ فَإِنَّ الْعَيْشَ قَبْلَ الْمَوْتِ مُنَغَّصٌ لِمَا فِيهِ مِنَ الْهُمُومِ وَالْغُمُومِ.

♦عقيدة البرزخ: هذا إثبات: لنعيم القبر، وأن القبر أول منازل الآخرة، واثبات كل ما أخبر به في القرآن، والسنة....

☜فالدعاء يتضمن الإيمان باليوم الآخر تفصيلاً.

قَوْلُهُ: (وَأَسْـأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّـوْقَ إِلَى لِقَائِكَ): جَمَعَ هَذَا الدُّعَاءُ أَطْيَبَ وَأَهْنَأَ شَـيْءٍ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ الشَّـوْقُ إِلَى لِقَاءِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنْعَمَ وَأَطْيَبَ شَـيْءٍ فِي الْآخِرَةِ، وَهُوَ النَّظَرُ إِلَى وَجْهِ اللَّهِ الْكَرِيمِ، الَّذِي لَا شَـيْءَ أَجْمَلُ وَلَا أَنْعَمُ وَلَا أَهْنَأُ مِنْ رُؤْيَتِهِ. فَعَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَـيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»، فَهُوَ أَعْظَمُ مِنْ كُلِّ نَعِيمٍ فِي الْجَنَّةِ وَمَا فِيهَا.

قَوْلُهُ: (فِي غَيْرِ ضَرَّاءَ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ): أَيْ أَسْأَلُكَ شَوْقًا لَا يُوجَدُ فِيهِ مَا يُضُرُّنِي فِي دِينِي وَلَا فِي دُنْيَايَ، بِأَنْ أَحْيَا حَيَاةً خَالِيَةً مِنَ الضُّرِّ وَالْبَلَاءِ الَّذِي لَا صَبْرَ عَلَيْهِ، وَخَالِيَةً مِنَ الْفِتَنِ الْمُضِلَّةِ الْمُوقِعَةِ فِي الْحَيْرَةِ، وَالْمُفْضِيَةِ إِلَى الْهَلَاكِ.

قَوْلُهُ: (اللَّهُمَّ زَيِّنَّا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ): أَيْ يَا اللَّهُ زَيِّنْ بَوَاطِنَنَا وَظَوَاهِرَنَا بِزِينَةِ الْإِيمَانِ، فَتَشْمَلُ زِينَةَ الْبَاطِنِ بِالِاعْتِقَادِ الصَّحِيحِ، وَالْيَقِينِ الثَّابِتِ، وَزِينَةَ اللِّسَانِ بِالذِّكْرِ وَالْقُرْآنِ، وَزِينَةَ الظَّاهِرِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، وَالطَّاعَةِ الدَّائِمَةِ؛ فَإِنَّ الزِّينَةَ الْكَامِلَةَ النَّافِعَةَ الدَّائِمَةَ هِيَ زِينَةُ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى إِذَا شَمِلَتِ الْقَلْبَ وَالْبَدَنَ.

فَقَدْ سَمَّى اللَّهُ تَعَالَى التَّقْوَى لِبَاسًا، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا خَيْرٌ مِنْ لِبَاسِ الْأَبْدَانِ: ﴿وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾.

قَوْلُهُ: (وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ): أَيْ بِأَنْ نَهْدِيَ أَنْفُسَنَا وَنَهْدِيَ غَيْرَنَا، وَهَذَا أَفْضَلُ الدَّرَجَاتِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾، وَكَمَا فِي دُعَاءِ النَّبِيِّ ﷺ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ هَادِيًا مَهْدِيًّا، وَاهْدِهِ، وَاهْدِ بِهِ.«

وَوَصْفُ الْهُدَاةِ بِالْمُهْتَدِينَ؛ لِأَنْ يَكُونَ الْعَبْدُ عَالِمًا بِالْحَقِّ مُتَّبِعًا لَهُ، مُعَلِّمًا لِغَيْرِهِ وَمُرْشِدًا لَهُ، (وَيَدْخُلُ فِيمَنْ دَعَا إِلَى الْهُدَى، وَمَنْ دَعَا إِلَى التَّوْحِيدِ مِنَ الشِّرْكِ، وَإِلَى السُّنَّةِ مِنَ الْبِدْعَةِ)، فَحَقٌّ عَلَى الدَّاعِي أَنْ يَعْتَنِيَ بِهَذَا الدُّعَاءِ الْعَظِيمِ الْجَامِعِ الشَّامِلِ لِكُلِّ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.